

## لحظة اعتقال أبي!!



13 مارس 2010  
كتب: بقلم: الزهراء أمير بسام

نان عليّ أن أجد إجابة مقنعة لسؤالها عن هؤلاء الأعراب، الذين أتوا بيتنا ليلاً بتلك الطريقة المفرعة.

حقيقةً أشفقت عليها من الإجابة، ولم تطاوعني نفسي أن أتركها تراهم.. لا أريد أن تحتفظ ذاكرتها بتلك الوجوه القاسية، سنتسى ملامحهم حقًا مع مرور الزمن، لكن سنبقى معانيها محفورة في وجدانها..

ستتذكرها عندما يتشدّقون بالحربة، وستسأل: أين كانت حينما عبثوا بأشيائي وأخذوها دون عودة؟!

ستتذكرها عندما يتحدثون عن الأمان، وتتساءل ما معناه وهم يندونه بروح باردة في نفوسنا يومًا بعد يومًا!

وأخيرًا.. ستتذكّرُها وهم يغثون للوطن، وبأسف ستسأل: أين الوطن؟! ربما هو أيضًا في المعتقل!!

ولتلك الأسئلة وقّع في النفس مؤلمٌ حقًا، فلم أجد بدًّا من مواربة الحقيقة، هؤلاء فقط أعراب أتوا ليهنؤنا عن شيء وسيمضون سريعًا.. اخدي انتِ للنوم ولا تتركي غرفتك..

كان أملِي في ذلك أن يحترموا براءة الطفولة، ولا يزجوها بوقع أقدامهم الثقيلة، ويتركوا غرفة إخوتي الصغار دون أن يقلبوها رأسًا على عقب، ويرحلوا دون أن أضطر إلى إخبار "آلاء" و"أفنان" عن هويّة عابسي الوجه هؤلاء.

لكن الأمل في بلادي ممنوع، تعمّدوا أن يوقطوهم، كما يتعمّدون أن يجعلونا نذهب بأحلامنا إلى شواطئ مالطا؛ علنًا نجد فيها يومًا أمّنا.

ما لم أستطع إخباره لـ"آلاء" فالوه هم، دون حياء أو مواربة!!، قالوا إنهم هنا من أجل الصّد عن حماية مسجد..

لم يتورع هذا البدين- وهو ينفث دخان سيجارة- أن يقول ذلك بإيماءات وجهه الغاضبة، ولا هؤلاء الأتباع وهم يبحثون بروح مضنية عن أي شيء يتحدث عن الأقصى؛ حتى إنهم لم يجدوا غضاضةً في أن يضمّوا لأحرازم لوجهة للشيخ الفعيد ومن خلفه الأقصى، وجدوا فيها دليلًا قويًا على إثبات التهمة؛ لنسجّل يومًا أن لوجهة مكتوبًا عليها: "الأقصى في خطر" دليل اتهام في قضية أمن دولة!.

الدولة التي لم تغنأ أن تستعرض لنا قوتها بإرسالياتها التي تبعثها وقتاً بعد الآخر- حتى وصلنا إلى حدّ التساوي ما بين بيتنا ومعقلنا- لم تخجل أن ترى في لوحة للقدس قلماً على استقرار نظامها.

هذا هو قلق الدولة!!..

أما قلقنا فكان من نوع آخر..

قلق من تلك اللحظة المرتقبة التي يغادر أبي فيها البيت إلى المكان الذي عرفناه بالخبرة، وألغناه بتكرار التجربة، هذه هي لحظة الاعتقال الحقيقية، وأقصى اللحظات التي يمكن أن يحياها المرء في بلادنا..

للحظة التي تتعلق أرواحنا فيها بالسماء، وقلوبنا بأبي الغائب عنا، وعيوننا بمن هم حولنا..

اللحظة التي تبدأ بها رحلة أحداث ما بعد الاعتقال، وتنتهي أخرى كانت قد بدأت لتوها من أحداث ما بعد الإفراج.. ثنائية تتبادل فيما بينها.. اعتقال وإفراج..

وأشفقت على "آلاء" من قسوة تلك اللحظة، حسبت أنها أكبر من احتمالها، فكان حرصنا الدعوب أن تبقى بعيدة عن محيطها، لكنها باغتتنا وفتحت النافذة، وتحت النافذة هناك جيش آخر غير الذي في بيتنا!!..

من هؤلاء؟!.. كان سؤالها البديهي..

هؤلاء أنوا ليحرسوا الأعراب في بيتنا، هكذا أجبناها.

بهروياً من تعبيراتها التي تخبرني أنها غير مقتنعة، أردفت: كثيرة الأسئلة أنت.. نامي، وفي الغد سأجيبك عن كل ما تريد.

م تنتظر إلى الغد.. سيفتني إلى الخارج حيث لحظة الوداع، تعلقت بأبي طويلاً.. واحتضنها أبي بشدة..

سألت: "حضرتك رايح فين يا بابا؟!".. سكت أبي لحظة، ثم قال: ربما.. إلى الأقصى!!..